

الجماعيّ التّعليميّ في "طريقي إلى الحرّية" مفهومه وأنواعه ودلالاته

Educational collectivism in "My Road to Freedom"
its types, levels and expressive forms

د. الأزهر الصحراوي

المعهد التحضيري للدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية

جامعة تونس

lazharsahraoui100@gmail.com

تاريخ القبول: 2023/12/29

تاريخ الإرسال: 2023/08/06

ملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل ظاهرة الجماعي التعليمي في السيرة الذاتية للتونسي حمادي صمود "طريقي إلى الحرية"، فيسعى إلى تحديد مفهوم الجماعي التعليمي وضبط أنواعه ومستوياته وأشكاله التعبيرية ويرصد دلالاته النفسية والأدبية والحضارية وعلاقته بالسيرة الذاتية العربية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية، المشروع السيرذاتي، الذكرى الحاسمة، التعالق بين الفردي والجماعي، الجماعي التعليمي.

Abstract:

The article examines and analyzes the phenomenon of educational collectivism in the autobiography of the Tunisian Hammadi Samoud: "My Road to Freedom". It seeks to define the concept of educational collectivism, regulate its types, levels, and expressive forms. It also highlights its psychological, literary, and cultural implications with modern Arab autobiographies.

keywords: Autobiography, Self-narrative project, Pivotal memory, Interplay between individual and collective, Educational collectivism.

يتنزل مقال: "الجماعيّ التعليميّ في "طريقي إلى الحرية"⁽¹⁾: مفهومه وأنواعه ودلالاته" في سياق مسار بحثيّ، موضوعه السيرة الذاتية العربيّة. ويروم توسيع البحث وتعميقه، في إشكاليّة هامة من مجمل إشكالياته، ونعني بذلك إشكاليّة "الفرديّ والجماعيّ". والغاية الأسمى من وراء هذا المقال، هي اختبار هذه الإشكاليّة البحثيّة، في المدوّنة السير ذاتيّة العربيّة المتنامية، التي تندرج ضمن هذا المنحز الإبداعيّ العربيّ، للوقوف على حقيقة وجودها ودرجات تواترها، ولمعرفة أشكال حضورها وطرق انتظامها، وخصائصها المميّزة.

من البديهيّ القول إذن، إنّ السيرة الذاتية جنس أدبيّ نثريّ، يوظف فيه مؤلّفه السرد الاستعاديّ، لكتابة الأنا الفريدة المتفرّدة، إضافة إلى أنّها مجال كتابيّ، يكون فيه صاحبه هو الكاتب والمكتوب، والعارض والمعروض، والذات والموضوع. فيعيد سرد مسار حياته، مركزاً جهده على فرديّته، وعلى تاريخ شخصه ووجوده الخاصّ، بدليل قول النّاقّد الفرنسيّ فيليب لوجون، (Philippe Lejeune) في تعريف السيرة الذاتية هي: "سرد استعاديّ نثريّ يعبر به شخص واقعيّ عن وجوده الخاصّ، وذلك عندما يركّز على حياته الفرديّة وعلى تاريخ شخصه"⁽²⁾، غير أنّنا لاحظنا، أنّ كاتب السيرة الذاتية العربيّة، عادة ما يوظف القصّة النثرية والسرد الاستعاديّ، ليكتب ذاته الفرديّة، وليكتب في الآن ذاته، سير الذين عرفهم وحملهم في ذاكرته، ممّن أثّروا بشكل من الأشكال في مسار حياته. فيرسم بالاعتماد على ذاكرته ملاحظهم وبورتريهاتهم، ويستعيد حكايات طفولتهم، ويسترجع ذكرياته معهم ويستعيد رحلاتهم المشتركة، وما إلى ذلك من الاهتمام بهذا الجماعيّ الذي عايشه، إلى الحدّ الذي يجعلنا نعتبره، قد خرق شروط الكتابة السير ذاتيّة، وتخطّى مقتضيات التّأليف، في هذا الجنس الأدبيّ. وهذا ما تهياً لنا، ونحن ندرس السيرة الذاتية لجمادي صمود، الموسومة بـ "طريقي إلى الحرية".

لقد وقفنا في هذه السيرة الذاتية على ضمور الذات الفرديّة للمؤلّف، وعلى تضخّم الحضور الجماعيّ. وألفينا ذاكرة الرّاي تستدعي الجماعيّ التعليميّ، عبر مراحل المتنوّعة وتؤثره على الذات الفرديّة، وتمنحه مساحات سرديّة واسعة، وتحتفي به احتفاءً متميّزاً. فدفعنا ذلك كلّ إلى تقصّي هذا الجماعيّ التعليميّ في الأثر، لاستجلاء مفهومه، وتبيّن

مظاهره، ومعرفة أنواعه ومستوياته وتحديد أشكال حضوره، وفهم دلالاته المختلفة. فمن هو حمّادي صمّود من خلال سيرته الذاتية؟ وما الخصائص البنائية المميّزة لمؤلّفه؟ وما مفهوم هذا الجماعيّ التعليمي؟ وما هي مظاهره وأنواعه ومستوياته وأشكال حضوره؟ وهل أنّ الاحتفاء بالجماعيّ هو شرود عن شروط التأليف في السيرة الذاتية، أو هو ضرب من ضروب التأكيد، على ارتباط الفرد بالجماعة في السيرة الذاتية العربية؟

- الكاتب:

حمّادي صمّود أستاذ البلاغة وعلوم الخطاب ونظريات الأدب، بالجامعة التونسية والجامعات الفرنسيّة. ولد في 25 جوان من سنة 1947 بقلبية من ولاية نابل بتونس. ينحدر من عائلة فلاحية فقيرة. والده "حميده صمّود"، ومهنته بحار في مراكب الصيد فعامل موسميّ في مصنع تعليب السمك. وأمّه "جميلة صمّود" ربّة بيت أميّة، لعبت دورا حاسما في تربيته وتعليمه، حتّى صار يُعرف في بيئته المحليّة بـ "حمّادي ولد جميلة".

درس في الكتّاب بقلبية، والتحق في المرحلة الابتدائية بمدرسة "الشّوارف" المعروفة بـ "المكتب الجديد". تحصّل على شهادة السّيزيام، والتحق بمعهد منزل تميم لمزاولة تعليمه الثّانويّ، وبفضل تفوّقه الدّراسيّ تحصّل على منحة دراسيّة مكّنته من الانتقال إلى الدّراسة بمعهد ابن شرف بالعاصمة، مقيما بقسمه الدّاخلّي. وتوّجت مرحلة دراسته الثّانويّة بتفوّقه في امتحان البكالوريا سنة 1965 وبحصله على جائزة رئيس الجمهوريّة. واصل تعليمه العالّيّ، وتحصّل على الإجازة في الدّراسات العربيّة من كليّة الآداب بتونس سنة 1968. وانتدب مدرّسا بالمعهد الفنّي بنابل. ساعده أستاذه عبد القادر المهيري في الانتقال بمثل خطته من نابل إلى العاصمة، لمواصلة تعليمه العالّي. فأحرز على شهادة التّبريز في اللّغة والآداب العربيّة من كليّة الآداب بتونس سنة 1972 بتفوّق. ونال جائزة رئيس الجمهوريّة. انتدب للتّدريس بكليّة الآداب بتونس. وواصل دراساته الجامعيّة العليا فتوّج جهده بشهادة دكتوراه الدّولة في اللّغة والآداب العربيّة من كليّة الآداب بتونس سنة 1980، بعد أن تزوّج وأنجب ابنه البكر، وشارك في ندوات وطنيّة، وملتقيات عربيّة في كلّ من مصر وسوريا وغيرها.

درّس بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة وبالجامعات الفرنسية من 1981 إلى 1984 ثم عاد إلى الجامعة التونسية، فترأس وحدة البحث وتحليل الخطاب، وعُيّن بعد ذلك عضواً ببيت الحكمة، وأشرف على بحوث علمية عديدة، وأثرى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة. ومن أبرزها "التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى حدود القرن السادس الهجري" منشورات الجامعة التونسية سنة 1981، و"الوجه والقفا: في تلازم التراث والحداثة" الصادر عن الدار التونسية للنشر سنة 1988، و"في نظرية الأدب عند العرب" الصادر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة سنة 1995، و"من تجليات الخطاب البلاغي" الصادر عن دار قرطاج للنشر والتوزيع سنة 1999 ... له العديد من المؤلفات بالإشتراك، وله مقالات وحوارات منشورة، في مجلات وصحف وطنية وعربية. وله منشورات باللغة الفرنسية في الدوريات والموسوعات العالمية المحكمة.

- الكتاب:

"طريقي إلى الحرية" هو عنوان السيرة الذاتية لحمادي صمود. وقد صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 2017 عن دار محمد علي للنشر، ضمن سلسلة "سيرة وحكايات". وقد فاز بجائزة البنك التونسي لسنة 2018. والكتاب من الحجم المتوسط، صفحاته 285 تُزين غلافه الخارجي لوحة للرّسام التونسي عبد الرّؤوف قارة. وفي الواجهة الأمامية لهذا الغلاف صورة نصفية حديثة للمؤلف.

تكوّن الكتاب من إهداء إلى والدته "جميلة" التي كانت تؤمن رغم أميتها، بأنّ العلم هو طريق الإنسان الوحيدة إلى الحرية، ومن مقدّمة أولى في صفحتين بإمضاء الكاتب مؤرّخة في 02. 11. 2015، تحدّد طبيعة الكتاب ومواطن الاهتمام فيه، ومن مقدّمة لاحقة أو ثانية، بعنوان "في انتظار الآتي" كتبت بخطّ يد المؤلّف، بتاريخ يوم الثلاثاء 18.01.2000 وقد عبّر فيها عن نشويّة مشروعه السّيرذاتيّ وتردّده بين الرّغبة في كتابته، وانتظار اختتام المشروع وتبلور معالمه، فيقول مخاطباً نفسه: "عندما تكون رغبتك العنيفة كتاباً قضيت عمرك في ترقيّه (...) فلا أنت تيأس، ولا أنت بطلبتك تمسك"⁽³⁾، ويرى تبعاً لذلك حياته فراغاً، ما لم يُحجز هذا الكتاب، ويخرجه للنّاس.

ترَكَّب متن هذا الأثر من ثلاثة فصول. وسم الفصل الأول بـ "موارد الصِّفاء". وامتدَّ من الصِّفحة عدد 11 إلى الصِّفحة عدد 120. وفيه استرجاع لبيئته البحريَّة، ولحياة الفقر والخصاصة التي عرفها، ولظروف التَّعليم في الكتاب وفي المدارس الابتدائيَّة، التي تردَّد عليها في بلدته. وعنون الفصل الثَّاني بـ "مسالك الخير" ويمتدَّ من الصِّفحة عدد 121، إلى الصِّفحة عدد 161. وفيه استرجاع لذكريات التَّعليم الثَّانوي في مدينة منزل تميم، وفي معهد ابن شرف بالعاصمة. وفيه بحث عن السَّبل المؤدِّيَّة إلى الحرِّيَّة والانعقاد، من الفقر والجهل والقهر. وحمل الفصل الثَّالث والأخير عنوان "أبواب مشرعة". ويمتدَّ على ما تبقي من صفحات الكتاب. وفي هذا الفصل يستعيد تجربته الجامعيَّة متعلِّماً ومعلِّماً، حيث فُتحت له أبواب المستقبل العلميِّ خاصَّة، وشُرِّعت له أبواب الحياة عامَّة على مصراعيها.

- مفهوم الجماعيِّ التَّعليميِّ:

من معاني (جمع) ما يدلُّ على الكثرة⁽⁴⁾ والجماعيِّ التَّعليميِّ، في السَّيرة الذاتِيَّة لِحَمَّادي صمَّود "طريقي إلى الحرِّيَّة" كثرة كثيرة، يعسر حصرها وإحصاؤها عدداً. ومن معانيه أيضاً بذل الجهد، لتحقيق فائدة أو مصلحة فردِيَّة أو جماعيَّة. والجماعيِّ التَّعليميِّ في هذا الأثر جهود مبذولة، لنحت القيم الإيجابية، وطاقت مُستنفرة لبناء العقول، وفعل تواصلِيٍّ متميِّز لمساعدة المتعلِّمين على السَّير في المسالك الكبرى، التي صمَّمت لهم كي يسلكوها.

والجماعيِّ نسبة إلى جماعة صناعتها التَّعليم، وهي في هذا المؤلَّف مؤسَّسة اجتماعيَّة تصنع الفرد، وتُكسب هويَّته الفرديَّة ملامحها الكبرى، وتحقِّق شرطه الإنسانيِّ. والجماعيِّ التَّعليميِّ مرَّكَّب نوعيٍّ، خصَّص فيه النِّعت المنعوت، وعرفه وميَّزه عن غيره، كالجماعيِّ السِّياسيِّ والاقتصاديِّ. وهو في ذاكرة الزَّاوي السَّيرذاتيِّ جيش من المعلِّمين والمتعلِّمين، والأساتذة والمشرفين والمسؤولين. له ثقله في كتاب حياة المؤلَّف، فالإيه انتسب، وفيه شبَّ واكتهل وشاخ وعلى هدي نوره سلك الطريق إلى الحرِّيَّة.

إنَّ الجماعيِّ التَّعليميِّ في هذه السَّيرة الذاتِيَّة، هو كلٌّ من ساعده في الخروج من دائرة الجهل والأمية، وأدخله إلى رحاب المعرفة، ورغَّبه في العلم، وحبَّبه إلى قلبه أو دفعه إليه دفعا ليخوض غماره. وهذا الجماعيِّ هو الذي شرَّع حقَّ التعلُّم في تونس، وأرسى عموميَّة التَّعليم

ومجانيته وشعبيته، وأعدّ البنية التحتية المناسبة، ووفّر كلّ ما يحتاجه المتعلّم والمعلّم والباحث من مرافق ماديّة مناسبة، وحفّز أبناء الفقراء والمعدمين، بالمنح الدراسية وغيرها، لأقذارهم على منافسة نظرائهم من الميسورين، محققاً بذلك مبدأ تكافؤ الفرص بين الجميع، وهو الذي استوعب المناهج الغربيّة الحديثة، وألمّ بمعارف العصر، وسرق النّار من الجامعات الغربيّة، لينير لأبناء جلدته السّبيل، وهو أيضاً من جدّد المناهج، وطوّر البرامج، وربط المعرفة بثقافة العصر وبالمشترك الإنسانيّ، وآمن بأنّ المعرفة هي السّبيل إلى التحرّر.

وإجمالاً، إنّ المقصود بالجماعيّ التعليميّ، هو كلّ الفاعلين في المؤسسات التّعليمية الوطنيّة والعربيّة والعالميّة، من الذين عرفهم المؤلّف، وحملهم في ذاكرته، واستحضرهم في سيرته الذاتيّة، وشرفهم بالذكر، فصرّح بهويّاتهم الاسميّة، أو لمّح إليهم تلميحاً خفياً، من نساء التّعليم ورجاله في تونس وخارجها، كالمدرّسين والموظّفين والمدراء، والعمداء ورؤساء الجامعات، وكلّ المؤثّرين في مجال التّعليم، بمراحله جميعها. فأين يظهر هذا الجماعيّ التعليميّ في سيرة حمّادي صمّود الذاتيّة؟ وما هي أنواعه ومستوياته؟

- مظاهر الجماعيّ التعليميّ:

يحضر الجماعيّ التعليميّ حضوراً مكثّفاً، في السّيرة الذاتيّة لحمّادي صمّود "طريقي إلى الحرّيّة"، باعتبارها سيرة تعلّم، ركّز فيها صاحبها اهتمامه، على التعلّم والتّعليم في مسار حياته. فنجد هذا الجماعيّ التعليميّ يحتلّ محلّ الفاعل في الجمل الفعلية، لإظهار فاعليّته وتأثيره. ونجدّه يشغل محلّ المسند إليه، في الجمل الاسميّة، لإبراز مركزيّته وأهمّيّته، في العملية التّعليميّة. ويعبّر هذا الجماعيّ التعليميّ، عن هويّات اسميّة فرديّة مرجعيّة، لها حضورها الفاعل، في الحياة العلميّة والثقافيّة، من مثل صالح القرمادي وجابر عصفور وشارل بلاّ، ويعبّر أيضاً عن شخصيات مرجعيّة جماعيّة، من مثل فيلق المعلّمين ولجنة المناقشة، وفريق البحث وهيئة التدريس. ويظهر في ضمائر نحويّة متنوّعة، تعود على هويّات مرجعيّة فرديّة وجماعيّة معلومة، من أبرزها، هي (السّيّدة الباردي) وهو (الأستاذ عبد القادر المهيري) وهم (الطلبة الذين أشرف على بحوثهم الجامعيّة) ونحن (طلبة مناظرة التّبريز) وبحضر هذا الجماعيّ التعليميّ مختزلاً في هويّته الوظيفيّة، كالعميد والمدير والمشرف والقيّم العام. ويتجلّى في ملامح

الشخصيات التي ظلت عالقة بذاكرة المؤلف: "ومما لا يمكن أن تنساه أجيال من المتعلمين بهذه المدرسة مديرها. كان أسمر اللّون نحيفا في قامته بعض الطول"⁽⁵⁾، ويُعلن الجماعيّ التعليمي عن نفسه، عبر مؤسسات تعليميّة، كمعهد منزل تميم، ومعهد ابن شرف، ومعهد بورقيبة للغات الحيّة. ويظهر في شعب تعليميّة، وتخصّصات علميّة، ومخابر بحثيّة. ويتجلى في المهام التعليميّة التي يضطلع بها، كالتدريس والتأطير والإشراف على البحوث وعقد الندوات. وتعبّر عنه الكفاءات الإداريّة والسياسيّة القائمة على رأس الإدارات الجهويّة والمركزيّة، في وزارة التربية، أو وزارة التعليم العالي. ويرد مندسا في المنظومات القيميّة، كالانضباط والاستقامة والصّرامة، والمثابرة وبذل الجهد، والصّبر على مشقّة البحث والتّحصيل المعرفي. وتنطق به الرّؤى الجماليّة، كالتناسب بين اللفظ والمعنى، والتّرابط بين الشّكل والمضمون، أو التّكامل بين العلم والفنّ. وتنهض به التوجّهات الفكريّة، كالعقلانيّة والاستقلاليّة والتّواصل، والانفتاح على الفكر الإنسانيّ النّير، والحث على التّحديث والتّطوير، وتحديد النّظرة إلى التّراث، بهدف التّهوض الحضاريّ الشّامل.

- أنواع الجماعيّ التعليمي:

إنّ الجماعيّ التعليمي في "طريقي إلى الحرّيّة" أنواع ثلاثة: وطني وعربيّ وعالميّ.

1) الجماعيّ التعليمي الوطني:

ينقسم الجماعيّ التعليمي الوطني في هذا الأثر، إلى جماعيّ تعليمي تقليديّ، وجماعيّ تعليميّ حديثي:

أمّا الجماعيّ التعليمي التقليديّ فيعبر عنه المؤدّب والكتاب في "قليبيّة"، ومسؤول الفرع الزّيتوني في "منزل تميم"، الذي يدرّس تلاميذه النّحو في المسجد الجامع، قبل أن يُستكمل بناء معهد "منزل تميم" وبعض المدرّسين، الذين أدجّجوا في النّظام التعليمي الجديد، واختصّوا في التّربية الدينيّة والمدنيّة واللغة العربيّة. ويمثل هذا الجماعيّ التعليمي، طلبة التّحصيل العصريّ والتّحصيل العلميّ، الذين عرفهم في مبيت ابن شرف، حينما انتقل إلى الدّراسة في العاصمة. وهم وإن كانوا من أغلب جهات الوطن، ومن الأقطار العربيّة والبلدان الإفريقيّة، فإنّهم قد اشتروا في سمة واحدة، وهي الحفظ وترديد ما تلقّوه. فتراهم يحفظون عن ظهر قلب قواعد

اللغة والبلاغة والجبر، ولا يطبقون بعض ما تعلموه نظرياً على التصوص، ولا يُجيدون لغة أجنبية، ينفذون منها إلى الفكر الأجنبي. فهم في الغالب عاجزون، عن اكتساب المناهج الحديثة والمعارف العلمية.

وأما الجماعي التعليمي الحداثي فيهيمن على أحداث السيرة الذاتية، ويحتل نصيب الأسد، في مراحل التعليم الثلاث الابتدائي والثانوي والعالي، ويتميز بأغلبية شابة وحدائية. ففي مرحلة التعليم الابتدائي، لم تقف ذاكرة الكاتب طويلاً، عند هويات المعلمين والمديرين في "مدرسة الشوارف" بقلبية، المعروفة عند الناس بـ "المكتب الجديد"، ولم تحتفظ ذاكرته بالهويات الاسمية، وبالملاح الشخصية، لطول العهد ولتقطع الذكريات: "ورغم طول المدة التي قضيتها بهذه المدرسة فإنّ ما بقي عالقا في الذهن منها ذكريات متقطعة"⁽⁶⁾ ولم يعمد إلى ذكر الهويات الاسمية للمعلمين. فنجدته يتحدث عن معلّم أسمر يجنو على تلاميذه ويساعدهم صباحاً بواسطة التمارين الرياضية للتخلص من أثر البرد "الجليدة": أذكر سمرة وجهه (...). ولكن أذكر فوق ذلك عطفه علينا"⁽⁷⁾ وتُسعفه ذاكرته بفيلق المدرسين في الابتدائي، منهم من هو أصيل المنطقة، ومنهم من هو وافد عليها: "كان الفيلق يقوم على مجموعة قارة من أصيلي المنطقة وعلى وافدين"⁽⁸⁾، وتستحضر ذاكرته مدير هذه المدرسة. فيعيد رسم ملامحه في بورتريه مصوّر: "كان أسمر اللّون نحيفا في قامته بعض الطول يلبس الزي الإفنجي مع الشّاشية المجيدي ويضع نظارتين غليظتين"⁽⁹⁾. وقد جمع هذا المدير بين اللّين والإشادة بالمتفوقين من جهة: "فهو دائم الإشادة بالمتفوقين"⁽¹⁰⁾ والحزم والقسوة على المتكاسلين من جهة أخرى: "وكان في مقابل ذلك شديدا على المتخلفين قاسيا قساوة على من لم تستلمهم الدّراسة، أو قعدت بهم إمكاناتهم"⁽¹¹⁾.

وقد ضمّ الجماعي التعليمي في المرحلة الابتدائية، مجموعة شابة من مزدوجي اللغة، وهم مؤهلون للتدريس بالفرنسية والعربية، ومجموعة من خريجي الزيتونة، الذين أدمجوا في صلب التعليم الجديد. ويشترك الصّنفان في الشدّة والقسوة والعنف والجدية والحزم، أملا في نجاح المتعلمين وتمييزهم. ونعثر في مرحلة التعليم الثانوي، على من تخرّج من الزيتونة، وأعيد إدماجه في التعليم الثانوي، لتدريس اللغة العربية أو العلوم الدينية، وعلى من تعلّم في الزيتونة أو في

المدرسة الخلدونية، وتخرج من الجامعات المشرقية، في سوريا والعراق ومصر، واختصّ في تدريس الفلسفة أو اللغة العربية أو التاريخ، وعلى من تعلّم في الصادقية وتخرج من الجامعات الغربية واختصّ في تدريس اللغات أو العلوم، فضلا عن الجماعيّ التعليمي العربي، ممثلا في الفلسطينيين الذين يدرّسون الإنكليزية والعلوم الطبيعية.

ونجد الجماعيّ التعليمي الغربي، الذي يتكوّن من الحسنين، وهم ينحدرون في الغالب من أصول فرنسية وبلجيكية وأمريكية. ويدرسون اللغات الأجنبية والموادّ العلمية. ولقد احتفظت ذاكرة الكاتب بالهويّات الاسمية لإطار التدريس، وباختصاصاتهم، وبعض ملامحهم ومناقبهم، ومن ذلك سي محمود التّايب أستاذ الرياضيات، وسي عبد الحميد الجريّ أستاذ الجغرافيا، وسي الميداني بن صالح أستاذ التاريخ وأستاذة الفرنسية السيّدة شوقان ...

تأثّر الجماعيّ التعليمي بالصّراع الدائر بين تونس وفرنسا، حول استكمال السيادة والاستقلال التام. وأدّى ذلك إلى سحب المدرّسين الفرنسيين، من تونس بعد معركة الجلاء فهبّ الطلاب التونسيّون بمختلف تخصّصاتهم العلمية، إلى تعويض هذا النقص، وملء هذا الفراغ، وإنجاح السنة الدراسية، وقد نجحوا في ذلك بتميّز. ويتكوّن الجماعيّ التعليمي في الثانوي من المثبتين في خططهم، ومن المتعاقدين والعرضيين.

لم يهتمّ المترجم لذاته بالجماعيّ التعليمي المكلف بالتدريس فقط. بل تجاوزه إلى الاهتمام بالإطار الإداري والفني والعملة، ومن ذلك سي نور الدين أحد عمّال معهد ابن شرف، الذي بعث ناديا للسينما في المبيت والمساعد الفني لأستاذ الفيزياء سي أحمد الشّرفي، والشيخ الوقور أمين مكتبة المعهد "كان يقوم عليها شيخ وقور كثر اللّحية طلق الحيا يرحّب بكلّ من يأتي لقراءة كتاب أو اقتراضه لمدة يضبطها هو"⁽¹²⁾ والقيم العام الذي يُظهر الشدّة والصّرامة، ويُظنّ اللين والمودّة: "وتأثّرت غاية التأثير بما أبداه قيم مبيتنا العام من غبطة قلّ أن أظهر مثلها"⁽¹³⁾ وابتهج أساتذة المعهد ومسؤولوه بتفوّقه في امتحان البكالوريا: "ولقيت من أساتذة المعهد ومسؤوليه الابتهاج والتشجيع"⁽¹⁴⁾ وأشاد الكاتب في المرحلة الثانويّة بدور هذا الجماعيّ التعليمي الذي تكاثفت جهوده، وتشابكت أدواره، لتمتين بناء المتعلّم، وخدمة العلم والمعرفة، في دولة الاستقلال.

لم يقتصر اهتمام المؤلف بالجماعيّ التعليميّ، على إطار التدريس والإشراف الإداري والفنيّ، وعلى بعض العملة، بل تعدّاه إلى المتعلّمين. فذكر هويّات رفاقه المنحدرين من بلده وهم قلة، وزملاءه في منزل تميم. ثمّ أشار في معهد ابن شرف إلى تعدّد جنسيّات المتعلّمين وإلى تنوّع جهاتهم وأصولهم وأديانهم وألسنتهم. ولقد بدّى الكاتب أنّ جيله، هو جيل طلائع النّظام التعليميّ الجديد، المعبر عن تونس الحديثة المستقلّة، والذي سيضطلع بالمهامّ العسيرة في بناء الدّولة الوطنيّة. وأقرّ بأنّ جيله قد قدّ من الفقر والخصاصة، وتحمل ألوان العنف والحرمان، وصبر على شدّة الدّرس ومشقّة التّحصيل، وتحمل اعتباريّة المناهج الدراسيّة، وما فيها من تجريب. وأكّد أنّ دولة الاستقلال قد أكرمت المجتهد، وكافأت المتميّز والذكيّ. وقد تعلّقت همّة أغلب أفراد جيله، بطلب العلم وبالاختصاص في المعرفة، وبالرغبة في النّجاح والتميّز. لكن هذه الرّغبة لم تسلم من الخوف والتوجّس: "دخلنا السنّة الثالثة من المرحلة الثانية وهي سنة البكالوريا تتنازعنا رغبات وتناوبا هواجس ومخاوف"⁽¹⁵⁾، ولا غرابة في ذلك فامتحان البكالوريا عسير، يتصوّره عامّة النّاس بابا مشرعا على المستقبل المشرق. لكنّ الممتحن أمامه عقبتان، هما الامتحان الكتابيّ والامتحان الشّفويّ: "نبحث في من نجحوا في الكتابيّ ودعينا إلى امتحان الشّفوي"⁽¹⁶⁾ وقد هيأ هذا الجماعيّ التعليميّ المؤلّف وجيله، لتلقّي المعرفة العلميّة المختصّة، في الجامعة التونسيّة وخارجها.

تميّز الجماعيّ التعليميّ في مرحلة التّعليم العالي، الذي استحضره في سيرته الذاتيّة، بالتنوّع والكثرة والتشعب. فقد خصّص لهذا الجماعيّ الفصل الثالث بأكمله، وهو أهمّ فصول الكتاب، ويُعطيّ مرحلتين هامّتين من حياة الكاتب، هما مرحلة التعلّم والتكوّن العلميّ في الجامعة، ومرحلة التّعليم والتّكوين، والإشراف على البحوث الجامعيّة.

ومن هذا الجماعيّ التعليميّ الأساتذة الجامعيّون التونسيّون، الذين تعلّم عليهم، ومن أبرزهم عبد القادر المهيريّ أستاذ اللّغة، وفرحات الدّشراوي أستاذ الحضارة العربيّة الإسلاميّة وصالح القرمادي أستاذ اللّسانيّات، ومنجي الشّملي أستاذ الأدب الحديث، ومحمد الطّالبي أستاذ التّرجمة والنّقل، والشاذلي بويحيى وتوفيق بكار... وقد تميّز هذا الجماعيّ التعليميّ المنتمي إلى قسم اللغة العربيّة، بالقدرة على تحليل النّصوص وإبراز خفاياها، وبالاقتدار المنهجيّ

وبالإيمان بكونيّة الظواهر الأدبيّة واللغويّة، وبالإطلاع الواسع على اللّغات والمناهج والآداب: "فهم جميعا مزدوجو اللّغة كأحسن ما يكون الازدواج، عارفون بالأدب الفرنسيّ معرفة عميقة تمكّنهم من استحضار ما أرادوا من قضاياها" (17).

لم يفد المؤلّف من بناء الجامعة التونسيّة فقط. بل أفاد أيضا من علوم الأساتذة الغربيين عامّة، والفرنسيّين خاصّة، الذين يدرّسون في الجامعة التونسيّة مادّة الفلسفة، كميّشال فوكو (Michel Foucault) وأوليفي روبول (Olivier Reboul) ومادّة الأدب الفرنسيّ كالسيدّ جاك جونقو (Jacques Gengoux) والسيدة باردي (Madame Bardi). فقد تميّز السّلوك المعرفيّ في الجامعة التونسيّة، بالانفتاح على جميع العلوم، وبالسّعي إلى الإفادة من جميع الاختصاصات، لغاية التّجديد والتّحديث: "ولم يكن هذا الذي نعيشه في قسم العربيّة منقطعا عن سياق الكلّيّة وما يطرح فيها من معرفة (...) فلقد كان فيها في مختلف الاختصاصات أعلام" (18).

استحضر المؤلّف من بين الطلبة، الذين جايلهم في الجامعة التونسيّة بعض الأعلام الجادّين، ممّن تميّزوا في طلب العلم، وخدمة الجامعة التونسيّة، بما ألفوا من كتب ودراسات ومقالات قيّمة. ومن أبرز هؤلاء محمد الهادي الطرابلسي وعبد السلام المسديّ وكريستيان لامورات (Christian Lamourette) وجان فونتان (Jean Fontaine). ولا يخفي الكاتب الصّلة الوثيقة التي تربط جيله بالثقافة الفرنسيّة عامّة، وبالجامعة الفرنسيّة خاصّة، التي تشهد غليانا فكريّا وتجيّدا معرفيّا وقيميّا شاملا: "ونحن على صلات متينة بالجامعة الفرنسيّة" (19). ولقد تميّز هذا الجيل، بالجدّيّة والمنافسة الشّريفة، والطموح المعرفيّ إلى أسمى الغايات. ويحتّم حديثه عن الجماعيّ التّعليميّ في الجامعة، بذكر هويّات الطلبة والباحثين، الذين أشرف على بحوثهم الجامعيّة، وأثرت مؤلّفاتهم أثناء نشرها الواقع الثقافيّ العربيّ، ومن أبرزهم محمّد لطفي اليوسفي وعبد الله صولة ومحمد الهادي الشّريف ...

2) الجماعيّ التّعليميّ العربيّ:

يتمثّل الجماعيّ التّعليميّ العربيّ، في الأساتذة الذين يقيمون في فرنسا إقامة دائمة ويدرّسون بمعاهدها أو جامعاتها، من مثل جمال الدّين بن الشّيخ ووحيد السّعفي، وأحمد

عبد المعطي حجازي وندا توميش وحاكلم الشابي، ومحمد أركون وهاشم فودة... ويقرّ كاتب سيرته الذاتية باستفادته، من دروسهم وخبراتهم وعلاقاتهم الواسعة. وقد عبّر جمال الدين بن الشيخ، عن ثقته في الجامعة التونسية التي ينتمي إليها المؤلف بقوله: "وأُلجّ صدري عندما بدأ يحدثني عن ثقته الكبيرة في الجامعة التونسية وإكباره لزملائه فيها"⁽²⁰⁾.

أنّى المؤلف على الجماعيّ التعليمي، الذي عرفه في الجامعة المصريّة، من أمثال محمود فهمي حجازي وعز الدين إسماعيل وجابر عصفور... ونوّه بالدور الكبير، الذي اضطلع به هذا الأخير، في ربط الصّلات العلميّة المتينة بين الباحثين العرب من المشرق والمغرب: "واستفاد النّاس جميعا من هذه الصّلات العلميّة التي كان جابر عصفور يبذل كلّ جهده لربطها. ودخلت العلاقات المغاربيّة المشرقيّة بفضلها فترة لم يسبق أن عرفتها"⁽²¹⁾ وقد عزّز جابر عصفور، هذه العلاقات المتينة مع أرباب العقول النيرة، وأصحاب الفكر الجديد، ببعث مجلّة "فصول" والمشروع القوميّ للترجمة، لما تولّى أمانة المجلس الأعلى للثقافة.

لم ينحصر التّواصل الثمر بين الجماعيّ التعليميّ التونسيّ والمصريّ. بل تجاوزه إلى بناء علاقات متينة مع الأساتذة الجامعيّين المتميّزين في سوريا، كأنتوان المقدسي وخلدون الشّمعة وعلي عقله عرسان وغيرهم. وتعرّز التعاون المنهجيّ والفكريّ مع أعلام الجامعة المغربيّة، من مثل الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري، ومحمد العمري ومحمد برادة، لخدمة البحث العلميّ وللنهوض بالثقافة العربيّة.

4) الجماعيّ التعليميّ العالميّ:

من أبرز أنواع الجماعيّ التعليميّ، في مرحلة التّعليم العاليّ، التي ذكرها الكاتب في سيرته الذاتية "طريقي إلى الحرّيّة" الجماعيّ التعليميّ الفرنسيّ، الذي أفاد كثيرا من كتبه ودراساته وبحوثه، وتواصل معه في الجامعات الفرنسيّة، وأفاد من خبرته الواسعة وتجاربه الثريّة. ويمكن أن نشير على سبيل الذّكر إلى داود كوهين (David Cohen) المهتمّ باللّغات الساميّة، وأنديري مارتيني (André Martinet) أستاذ اللّسانيات التّقابليّة، وأوليفي روبول (Reboul Olivier) أستاذ الفلسفة المهتمّ بالخطابة واللّغة والإيديولوجيا، وجوال قارد تامين (Joëlle Gardes Tamine) أستاذة البلاغة، فضلا عن النّاقّد الألمعيّ زيتان تودوروف (Todorov Tzvetan).

ولقد تعرّف إلى أبرز المستشرقين في فرنسا، من مثل ماكسيم رودنسون (Rodinson Maxime) وشارل بلا (Charles Belle) وأندري ميكال (André Michael) وساهم رفقة بعضهم في كتابة مدخل في دائرة المعارف الكونيّة عنوانه: "الأدب العربي".

وأشاد أثناء زيارته لليابان، بالمستوى المتميّز للجماعيّ التعليميّ في هذا البلد. وأدرك بعض الأسس التي قامت عليها انطلاقته العلميّة. وفهم من خلال لقائه برئيس جامعة طوكيو الإمبراطوريّة، ورئيس جامعة طوكيو الحرّة، والمسؤول عن العلاقات الخارجيّة في وزارة التّعليم العاليّ، بعض الأسس التي يقوم عليها التّعليم في اليابان، كالاستقلاليّة والجدية وترابط المعرفة النظريّة بالممارسة العمليّة، وتقدير الدّكاء والكفاءة وكثرة الجامعات والمكتبات والمخابر والنشرّيّات المختصّة.

إجمالاً، لم يكن الجماعيّ التعليميّ الوطنيّ في "طريقي إلى الحرّيّة" نوعاً واحداً. بل كان ألواناً عديدة. فمن هذا الجماعيّ من اهتمّ بالإشراف البيداغوجيّ، وتأطير المتعلّمين والتّسيير الإداريّ، ومنه من اختار أن يكون مدرّساً، ومنه من لم يقنع بالمتوقّف والمتاح من العلم والمعرفة وآثر ارتياد الأقاليم: "كنت مقيماً مسافراً ومدرّساً طالباً"⁽²²⁾ فراح يُدعّم مكتسباته بما عند غيره من الأقوام، من المناهج والمعارف والرّؤى والأفكار، غايته مواصلة مشروع التنوير والتّحديث، الذي نادى به رواد النّهضة في تونس، وأرسى دعائمه بناء الجامعة التونسيّة.

إنّ الجماعيّ التعليميّ في هذا الأثر جيش عرمرم، حارب الجهل والاميّة والقيم السليبيّة وخلق جيلاً محباً للعلم، متجدّداً في هويّته الحضاريّة، منفتحاً على ثقافة العصر. هدفه الأسمى التّحديث والتّطوير والإقلاع الحضاريّ. وقد تميّز هذا الجيل في مرحلة التّعليم العاليّ، سواء أكان في مرحلة التعلّم والتكوّن، أو في مرحلة التّكوين والتّعليم والإشراف، بالانفتاح على الاختصاصات الأخرى، يُفيد منها ما يتيح له تجويد المعرفة، وتطوير آليات البحث. إنّه إذن كثرة كثيرة، وجهود متعاضدة ومراتب متفاوتة، ومراحل مترابطة ترابطاً وثيقاً رفيقاً، يُفضي بعضها إلى البعض الآخر. وقد عبّر بذلك عن تواصل الأجيال، وتكامل الأدوار ووضوح المهام، ودقّة الأهداف المتّصلة بخلق مجتمع المعرفة. فلم يكتف هذا الجماعيّ التّعليميّ بالموجود. بل كان يسعى إلى تطوير المكتسبات، ويهفو إلى خلق روافد معرفيّة جديدة، ترتقي

بالمستوى العلمي في الجامعة، كالمحاضرات والدورات العلمية، ومخابر البحث ونشر الكتب والدراسات والمجلات المختصة. ولقد عزز ذلك كله التعاون بين الجامعات، وعمق التواصل الثقافي بين الشعوب والأمم.

إنّ الجماعيّ التعليمي في مجمل الأثر، شخصيات مرجعية حقيقية، لها حضورها الفكريّ الفاعل، والتاريخ المعاصر شاهد على دورها المحوريّ، في خدمة المعرفة الإنسانية وتطويرها. وفضل المؤلف في هذا الأثر أنّه حملها في ذاكرته، وأعاد إحياءها، وجمع بينها، وربط بين مهامها وأدوارها، واعترف بفضلها وخيرها فخلّد بذلك ذكرها. وما يمكن تأكيده هو إظهار التوافق الواسع، والتناغم الحاصل، بين الجماعيّ التعليمي الوطني والعربيّ والعالميّ، حول مشروع التنوير والتحديث والتجديد من جهة، وإضمار التواطؤ على احتواء القدم المغلق وتهميش دوره، وإضعاف حجّته، وإخماد صوته من جهة ثانية.

يتنوّع الجماعيّ التعليمي في هذا الأثر، وتترابط أنواعه، ويشدّ بعضها بعضا. فمنه الجماعيّ التعليمي الوطني القائم على صناعة العلم والمعرفة، وقد تدرّج في حديثه عنه عبر مراحل الثلاث. غير أنّ تركيزه كان منصبا على التعليم العالي، لتأثيره العميق في مجالات الحياة جميعها. ومنه الجماعيّ التعليمي العربيّ الذي اشتهر بتجديد الفكر العربيّ، وتحديثه وتطويره، رغم قلة العدد وضعف التأثير وندرة النصير. ومنه الجماعيّ التعليمي العالميّ، وهو قبلة المعرفة العلميّة العالميّة، وإن كان قراره غريباً، وسمكه فرنسياً.

وقد حمل الجماعيّ التعليمي الجامعيّ الوطنيّ، لواء التنوير والتحديث والتجديد. واضطلعت الجامعة التونسية، في بداية النصف الثاني من القرن المنقضي، بتجسير العلاقة بين الحداثة الغربيّة والجماعيّ التعليمي العربيّ، لأنّ مشروع التحديث العربيّ لا يكون إلّا بجهود عربيّة. ورغم أهميّة أنواع الجماعيّ التعليمي في هذا الأثر، وطرافة تناوله، غير أنّ الوقوف عند هذا الحدّ، لا يبدو أن يكون إلّا إجراء سطحيّاً وتجزئياً، يحجب عنّا كنه الجماعيّ التعليمي وحقيقته، ويحول دون معرفة منطقته الداخليّ، فلهذا الجماعيّ مراتب ومستويات، يختلف ظاهرها عن باطنها. وله قوانين تنظّمه، ورؤى توجّهه، وأهداف ومصالح تحركه. فما هي مستويات الجماعيّ التعليمي في هذا الأثر؟

- مستويات الجماعيّ التعليمي:

إنّ السّمة الأساسيّة للجماعيّ التعليمي، هي التنوّع داخل الوحدة. وهذه الوحدة هي المدرسة والجامعة ومخبر البحث ... ولعلّ السّمة الأبرز، هي تعدّد المستويات داخل النّوع الواحد، وتفاوت الدّرجات، واختلاف الرّؤى والمواقف، وإضمار المذاهب أو إظهارها. ولهذا الجماعيّ التعليميّ وجوه عديدة مطمورة، في الخطاب وأعطاف اللّغة، منها السياسيّ الأيديولوجي، ومنها الثقافيّ الحضاري، ومنها الاجتماعيّ والاقتصاديّ.

فلو نظرنا إلى الجماعيّ التعليمي، الذي جاليل المؤلّف في الجامعة من الجانب الإيديولوجيّ والسياسي، لوجدنا الطالب الدّستوري، المرتبط بالنّظام السياسيّ القائم، الذي ينقذ عادة ما يُطلب منه، ويتحرّك في المربّع الذي حدّد له، لا يمكن أن يتجاوزه. ويسعى ما أمكن إلى احتلال مواقع القرار في الجامعة، لتجسيد السّيادة المعرفيّة وتأييد سلطانتها، ولوجدنا الجماعيّ التعليميّ القوميّ العربيّ، الذي يدعو إلى التعريب الشّامل، ويؤمن على إعادة إحياء اللّغة العربيّة، وجعلها لغة العلم، بهدف بعث أجداد الأمة العربيّة، ولا يتورّع عن نعت الأوّل بالتّعريب وبالعمالة للأجنبيّ، ولوجدنا الجماعيّ التعليميّ اليساريّ، المتأثر بحركة ماي 1968 بفرنسا، وكلّه سعي إلى تجديد لغته وخطابه وسلوكه، ليكون منسجما مع واقع الجامعة ويحرص الحرس كلّ، على تخطيط الصّورة التّمثليّة للمثقف المتعالّي كي يرسى علاقة حيّة جديدة وديناميكية، بينه وبين المتعلّمين، وكلّه عزم على بناء الحلقات الجديّة لليسار التّونسيّ.

ولو نظرنا في الجماعيّ التعليميّ التّقليديّ، الذي يعبر عنه الكتاب والمؤدّب، والجامع والشيخ المّعّم، لوجدنا في ذلك تعبيرا عن ثقافة تقليديّة، تجرّ الأفكار القديمة في واقع جديد، وتغضّ النّظر عن تحولات الواقع، وتتمسك بثقافة فات أوانها، وتكرّس الحفظ والتلقين واجترار الماضي والاغتراب في الحاضر، وترفض المختلف. وفي المقابل، لو تأملنا الجماعيّ التعليميّ، الذي تعبّر عنه المدرسة والكلية، وما فيهما من تعليم مدنيّ موحد ومعاصر وإشهاديّ يضمن لصاحبه الوظيفة، ويحقّق الوجاهة، وما فيهما من هندسة حديثة تتوقّر على جميع المرافق، وما فيهما من وسائل بيداغوجيّة عصريّة، كوسائل الإيضاح والمخابر والخرائط ووسائل التّواصل، لوجدنا في ذلك تعبيرا عن ثقافة مدنيّة حديثة تؤمن بوحدة الإنسان حيث ما كان، وبكونية اللّغة والأدب والمعرفة عامّة، وتكرّس التّواصل والتّعاون والانفتاح.

ولا تفوتنا الإشارة إلى المستوى الاقتصادي للجماعيّ التعليمي، الذي جایل المؤلف لنقف على التّفاوت الطبقيّ الهائل، بين الفقير المعدم، الذي يعيش على مساعدات التّضامن الاجتماعيّ والمنح الدراسيّة، وما توفّره الجامعات من مجانية الإعاشة والإقامة والنّقل، ومن كان سليل الوجهاء والأثرياء والأعيان والمتنفّذين وأرباب السّلطان.

إنّ هذه المستويات المتفاوتة، والتّناقضات الحادّة، هي التي تخلق ديناميكيّة داخلية، تظهر في المنافسة الشّريفة، وفي تكامل الأعمال وتراكمها وترباطها، وفي خدمة العلم والمعرفة. وقد تخُرج هذه الحركة أحيانا، عن مدارها الصّحيح، فتمسي تناحرا مفضوحا، على المناصب العلميّة والإداريّة، وتخذل بذلك العلم والمعرفة. غير أنّ السّؤال الذي يطرح في هذا المستوى هو كيف يحضر الجماعيّ التعليمي في السّيرة الذاتيّة لجمادي صمود؟

- أشكال حضور الجماعيّ التعليمي:

يحضر الجماعيّ التعليمي في السّيرة الذاتيّة لجمادي صمود "طريقي إلى الحرّية"، حضورا مكثّفا ومتفاوتا. فلئن خصّص صفحات قليلة، للقائمين على التّعليم التقليديّ، بمراحله المختلفة، فإنّه قد آثر القائمين على التّعليم الحداثيّ بمراحله المختلفة، بفصلين كاملين وهما الثّاني والثّالث، من جملة الفصول الثّلاثة، التي يترّكب منها كتاب الحياة، وفي هذا التّفاوت اللافّ وغير المتكافئ دلالة، على أنّ الجماعيّ التعليمي الحقيقيّ عنده، هو الجماعيّ التعليمي الحداثيّ، فضلا عن هذا التّفاوت، في توزيع الجماعيّ التعليمي على فصول الكتاب نشير إلى تنوّع طرائق الحضور، وإلى تعدّد الأشكال الفنيّة، التي يتجلّى عبرها هذا الجماعيّ التعليمي. فقلّما يحضر الجماعيّ التعليمي حضورا عاريا جافّا. فقد وظف جملة من الأجناس الأدبية المرجعية والمرجعيّة الذاتيّة في سيرته الذاتيّة، لاستحضار الجماعيّ المتعلق معه. ومن ذلك أدب التّراجم وهو لون أدبيّ مرجعيّ، يهتمّ بحياة الأعلام من النّاس، ويُرَكّز على ذكر حياتهم ومواقفهم، ويُعرّف بآثارهم ومن بينهم: "الأستاذ الشاذلي بويحيى قيّد المنتمين إلى قسم العربيّة وأستاذ بعضهم بالمدرسة الصادقيّة وأحد بناء الجامعة التّونسيّة"⁽²³⁾ "والأستاذ الصّديق محمود فهمي حجازي وهو من طلائع المختصّين في علوم اللغة على النهج الجديد. تخُرج من الجامعات الألمانية بأعلى الشّهادات"⁽²⁴⁾ ونجد: "جوال تامين أستاذة البلاغة بجامعة

أكس آن - بروفانس⁽²⁵⁾ ثمّ وظف أدب الرحلة، وهو نوع من الأدب المرجعيّ الذاتي، الذي يصوّر فيه كاتبه مشاهداته أثناء رحلاته، ويعبّر من خلاله عن انطباعاته، من مثل قوله في استرجاعه لأطوار رحلته إلى المغرب الأقصى: "أخذني الأخ الصديق عبد القادر الفاسي الفهري مع الصديق العزيز سالم الغزالي في سيارته إلى مراكش، وذهبت أنا مع أصدقاء آخرين إلى طنجة. وفيها من المناظر والرؤوس المطلة على البحر محيطه ومتوسطه، ما لا يتوقّر لغيرها من المدن"⁽²⁶⁾ ويوظف المؤلّف الذكريات، وهي كتابة ذاتيّة تُعنى بسرد الأحداث المنفردة والمستعادة من الذاكرة. وتُهمّ بتسجيل الحياة العامّة أكثر من الخاصّة، لقوله: "وأبرز ما أذكره أنّ أقاربي ممّن كانوا معي بها، غادروها جميعا تقريبا قبل الوصول إلى مناظرة الانتقال من الابتدائي إلى الثانوي"⁽²⁷⁾ واستخدم المؤلّف فنّ البورتريه، الذي يهتمّ بتصوير شخصيّة مرجعيّة عرفها وعاشها، واستعاد بفعل الكتابة ما علق بذاكرته من صفاتها وملاحظاتها، فيقول مسترجعا ملامح ميشال فوكو: "نراه في منعطفات الممرّات، برأسه المائل إلى الاستطالة الحليق ونتوء علماء الرياضيات في مؤخّرة رأسه، ولونه الأشقر الشاحب ولباسه البسيط"⁽²⁸⁾ ويستخدم فنّ الشهادة ليقرّ بأفضال أستاذه عبد القادر المهيري عليه، بدليل قوله: "فكيف يمكن للإنسان أن يردّ هذا الجميل؟ وأتّى له أن يفني بحقّ هذه الأفضال، أفضال نقلتي إلى تونس وانخراطي في الحلقة الثالثة وأفضال ترشيحي للقيام بهذه الدّروس (...) وتمكّني من العمل في مكتبه؟"⁽²⁹⁾ لقد تعاضدت هذه الأجناس الأدبيّة المرجعيّة والمرجعيّة الذاتيّة، لتضطلع بمهمّة التعريف بالجماعيّ التعليمي، المتعلق مع ذات المؤلّف، وبتقديمه إلى المتلقّي في أشكال أدبيّة، تراوح بين الواقعيّة والصّدق من جهة، والتّخيل والمتعة من جهة ثانية. فما طبيعة العلاقة القائمة بين فرديّة المؤلّف وهذا الجماعيّ التعليميّ المتنوّع؟

- التّعلق بين الفرديّ والجماعيّ التعليميّ:

أشار المؤلّف في المقدّمة الأولى، إلى أنّ مؤلّفه "طريقي إلى الحرّيّة" سيرة ذاتيّة، يتوقّر على كلّ الخصائص الأجناسيّة، المميّزة لهذا الجنس الأدبيّ. فالميثاق السيرذاتيّ مضمّن في العنوان والإهداء والمقدّمة الأولى والثّانية، ويبيّن أنّ نوع الأثر نثر سرديّ، يتابع أثناءه الرّاوي الحياة الفرديّة لشخصيّة مرجعيّة، هي شخصيّة المؤلّف عبر مسار حياته، وأنّ نوع السرد تذكيريّ ارتداديّ، وأنّ الهويّات السردية الثلاث تتطابق تطابقا تامّا. غير أنّ سيرته الذاتيّة ليست نسجا

على منوال السيرة الذاتية الغربية، أو استنساخا آلياً لهذا الجنس الأدبي، في اهتمامه بالحياة الفردية لكتابه. بل هي استعادة لمسار حياة المؤلف، في تعالقه مع مسار حياة الجماعة، ولذلك بناها على ثنائية الظاهر والباطن. فظاهرها تعبير عن مسار الحياة الفردية لكتابت سيرته، في نحت الكيان وإثبات الذات. وباطنها احتفاء بالجماعي التعليمي، بكلّ مراحل ومستوياته: "هذا الكتاب في ظاهره سيرة ذاتية تجد فيه كلّ مقوماتها التي يقتضيها في الأعراف الأدبية جنسها. ولكنه لم يصنع ليكون القصّ فيه دائراً على الذات (...) وإنما صنع لأمر آخر تبين أنّ طريقه لا بدّ أن تمرّ بهذه الذات في صيغة المفرد أو في صيغة الجمع"⁽³⁰⁾ ولذلك تحتفي الهوية الفردية في هذا الأثر، بالجماعي التعليمي وتستحضر لحظة الكتابة، لتعيد تمثيل حضوره، محيلة بذلك على علاقة جدلية عميقة بين الفردي والجماعي.

إنّ التعلّق الوثيق القائم بين الفردي والجماعي، في السيرة الذاتية العربية، جعل منها خاصية بنائية وأجناسية مميزة، دفعت الناقد محمد الباردي، إلى تعديل تعريف فيليب لوجون للسيرة الذاتية، وتوسيعه لينسجم مع طبيعة السيرة الذاتية، في الأدب العربي الحديث، بقوله هي: "حكي استعاديّ نثريّ بأشكال سردية متنوّعة، يقوم به شخص واقعيّ عن وجوده الخاصّ والعامّ، وذلك عندما يركّز على حياته الفردية والجماعية وعلى تاريخ شخصيته الجزئيّ أو الكلي"⁽³¹⁾ وهذا التعديل المقترح لمفهوم السيرة الذاتية العربية فرضه - في رأينا - هذا النمط من الكتابة السيرة الذاتية، الذي لا ينغلق على الحياة الفردية لكتابه. بل يفتح على الجماعي، الذي عايشه وتعالق معه.

لقد استحضر الجماعي التعليمي، الذي عايشه واحتفظت به ذاكرته، وأعاد إحياءه وتمثيل حضوره عبر مراحل حياته المختلفة، محيلاً بذلك على علاقة فعلية تاريخية واقعية، قائمة بين الكاتب الذي عاش التجربة وحملها في ذاكرته، وباح ببعض تفاصيلها، والجماعي التعليمي، وهو جمهور واسع من المعلمين والمتعلمين، الذي تعددت أنواعه، وتنوّعت مستوياته وتفاوتت رتبته ودرجاته وخبراته وقيمه، فتجاوز الأثر بذلك، سيرة التعلّم والتعليم إلى سيرة كفاح جيل الكاتب ونضاله المعرفي، من أجل إثبات الذات والتهوؤ بالمجتمع.

لم يكن استدعاء الكاتب للجماعي التعليمي، بأنواعه ومستوياته وطبقاته إلى سيرته الذاتية، استدعاء مجانياً. بل كان استدعاء وظيفياً، لإعادة تمثيل أطوار العلاقة التي كانت ونقلها

من ركح مسرح الحياة الواقعية، إلى ركح مسرح الحياة الأدبية والكتابة السيرة الذاتية، ليكون شاهدا على دور الجماعي التعليمي في احتضانه ورعايته، ونحت ملامح ذاته المعرفية. فهو الباني الحقيقي لفرديته ومصدر معارفه وأفكاره وقيمه. وهو الذي علّمه وجدّره في هويته وطور معارفه وفتح آفاقه، على حداثة الآخر وتطور مناهجه وعلومه. وقد أثمرت هذه العلاقة وعيا حضاريا شاملا، منتهى غايته بناء الذات الفردية، والارتقاء بالمجتمع إلى مراتب الأمم الفاعلة.

- دلالات الجماعي التعليمي:

إنّ الجماعي التعليمي، في السيرة الذاتية لحماّدي صمود - عموما - هو من رسم السياسة التعليمية والتربوية في بداية دولة الاستقلال. وهو الذي استثمر في الذكاء البشري وراهن على نجاعة المعرفة العلمية وفعاليتها، لبناء فرد متعلّم ومتجدّد في بيئته، ومتشبع بثقافة عصره، ومنفتح على الفكر الإنساني النّير. وهو الذي حرص على توفير كلّ الوسائل المتاحة لتنفيذ هذه السياسة التعليمية، لتكوين نخبة علمية، يُعَوّل عليها في بناء الدولة الحديثة، وفي النهوض بالمجتمع. وما المؤلّف سوى ثمرة من قطوف هذه السياسة التعليمية. وما كتاب حياته إلّا شهادة حيّة على نجاعتها. ولذلك كلّ استحضار هذا الجماعي التعليمي، في مجال كتابي مخصّص للذات الفردية، ليحتفي به، ويظهر فضله، ويخلّد ذكره. فما دلالات هذا الاحتفاء؟

يطفح حضور الجماعي التعليمي في "طريقي إلى الحرية" بالدلالات. بعضها جليّ يرشح به ظاهر النصّ. وبعضها الآخر خفيّ تحجبه خباياه. وتتعدّد دلالات الاحتفاء بهذا الجماعي بتعدّد أبعاد الفكر ومجالات الحياة. فمنها الذاتي والأخلاقي والأدبي. ومنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

• الدلالة الذاتية:

إنّ السيرة الذاتية مجال كتابي مخصّص لفردية كاتبها، ذلك أنّ هذه الفردية، هي الموضوع الجوهري لهذا الجنس الأدبي، الذي يعيد خلق تجربة كاتبه، في وحدتها وتنميتها وتكامل أبعادها، من أجل التعرّف إليها والتعريف بها. فالدافع إلى كتابة السيرة الذاتية - في اعتقادنا - هو المشروع السيرة ذاتي، والذي يرتبط عند حمّادي صمود بالذكرى الحاسمة، التي يرى أنّها غيرت حياته، وجعلت منه كائنا جديدا متميّزا. وقد تمثّلت في معاقبة والدته له، لنفوره من المدرسة:

"كان ذلك اليوم يوما فاصلا في حياتي. رجعت إلى المدرسة، وأصبحت صليتي بالتعليم والتعلم صلة عشق عميق"⁽³²⁾. وما نراهن عليه، أنّ السؤال الذي دفع صمود إلى كتابة سيرته الذاتية هو ما الذي جعل هذا الطفل الفقير المعدم يتميز، ويبلغ أعلى المراتب العلمية في مجال تخصصه، في حين عجز غيره عن تخطي امتحان "السيزيام"؟ هل انتشله ذكاؤه من واقع الفقر والغبن؟ هل نهض به طموحه إلى بلوغ أرقى مراتب المعرفة؟ هل أنقذه زهابه من عنف والدته التي أجبرته على ارتياد المدرسة وتحصيل المعرفة؟ أم أنّ الفضل في كلّ ذلك راجع إلى سياسة الدولة الوطنية، وإلى بعض رجالاتها، الذين أرسوا مديّة التعليم ومجانيته وشعبيته؟ ولقد وجدنا في كتاب حياته عرضا لمعطيات كثيرة، وأسئلة عديدة، تؤكّد بحثه عن حقيقة ذاته.

• الدلالة الأخلاقية:

إنّ الاحتفاء بالجماعيّ التعليمي هو - في اعتقادنا - تكريم للمعلم المؤثر والمهم، وإشادة بقيمته الاعتبارية وتقدير لدور نساء التعليم ورجاله، في نحت العقول وصناعة العلم والمعرفة وتمثين لجهود هذه الفئة التي ساءت أحوالها وتراجع دورها، وتعقرت صورتها، وأمست في زمن تأليف الكتاب، هدفا لكلّ رام. ولذلك استحضرت ذاكرة المؤلف، هذا الجماعيّ التعليمي سعيا إلى تخليد أعلامه، اعترافا منه بأفضالهم عليه، وتقديرا لنبلمهم وتضحياتهم.

• الدلالة الأدبية:

كتب حمادي صمود سيرته الذاتية بلسان عربيّ مبين. وحرص على أن تكون لغة الكتابة، من جنس لغة العصر، قريبة من الأذهان، وفي متناول الفهم. وبنى نصّه بناء قصصيا ثريا، متأثرا في ذلك ببني نصيّة شفويّة ومكتوبة، كالسير وأدب التراجم وأدب الترسل، وأدب الرحلة والذكريات... تلك الأشكال السردية التي تربّى على قراءتها، وترسّخت في ذهنه وتعلّق بها وجدانه، وشكّلت ذائقته الأدبية، وبلورت وعيه بمفهوم الأدب ووظائفه. ونحزم بأنّ المؤلف ملمّ بالخصائص الأجنبية المميّزة للسير الذاتية، التي بلورها الناقد الفرنسي فيليب لوجون، في تعريفه المأثور للسير الذاتية وبأنّه مطلع على السيرة الذاتية لروسو وأندري جيد وألبر كامو وبارت... وبأنّه مواكب لتطوّرات السيرة الذاتية العربية المعاصرة. غير أنّه اختار أن يكتب سيرته الذاتية، كما كتبها جيل الرّواد من أمثال طه حسين والعقاد وأحمد أمين...

فألجم ذاته الفردية، وقَلَص من مساحة بوحها واعترافها، ومن الغوص على أعماقها الخفية. وحرص على الاحتشام والتكتم. وقَلَص من فرص التلصص على حياته الخاصة. فلم يبح بتجربة الحب في حياته. ولم يظهر عاطفة الأبوة تجاه ابنه، ولم يعرّج على موت والده أو أمه. واحتفى في المقابل بالجماعي التعليمي. وخصّص له مساحات واسعة من كتاب حياته وكأنّه يتمثّل في ذلك بقول أحمد أمين: "على ذلك وضعت هذا الكتاب، ولم أذكر فيه كلّ الحق. ولكيّ لم أذكر فيه أيضا إلّا الحق. فمن الحق ما يردل قوله، وتنبو الأذن عن سماعه. وإذا كنّا لا نستسيغ عريّ كلّ الجسم، فكيف نستسيغ عريّ كلّ النفس؟"⁽³³⁾.

لقد سار في كتابة سيرته الذاتية، سيرة النّاثّر العربيّ القديم، في تعامله مع الجماعي، ذلك الذي رأى فيه هو ذاته، أنّه لا يقول إلّا ما يريدّه الآخر منه أن يقوله. فهو صوت غيره مقطوع عن نفسه، شاهد على القيم السائدة، ومبلّغ إيّاها للنّاس⁽³⁴⁾ وكتب السيرة الذاتية العربية لا يؤرّخ لنفسه. بل يؤرّخ لغيره، بدليل قول عبد الفتّاح كليطو: "إنّ الطريقة التي يترجم بها للغير، هي الطريقة نفسها التي نجدها في الترجمة الذاتية"⁽³⁵⁾ ويتعزّز هذا الرأي بالسؤال الذي طرحه واسيني الأعرج، في خاتمة سيرته الذاتية: "لهذا أتساءل أحيانا بعد كلّ هذا الجهد الكتابي، هل هي سيرتي أم سيرة كلّ الذين منحوني الحبّ والرغبة في الارتواء في غمرة الحياة؟"⁽³⁶⁾ للتأكيد على أنّ كاتب السيرة الذاتية العربية ليس له حياة خاصة. إنّ إهمال الحياة الفردية وممارسة الاحتشام والتّعتيم والانتقاء، والتكتم على المعايير والمخازي ومواطن الضّعف الإنساني، يدفع به دفعا، إلى استحضار الجماعيّ التعليمي، والاحتفاء به، ملء الفراغ وتبديد الخواء.

• الدلالة السياسيّة:

يقرّ المؤلّف بأنّه من طلائع السياسة التعليميّة، التي وضعها محمود المسعدي. وفضل هذه السياسة أنّها وحدت التّعليم، وأخرجت المعرفة من ضيق دائرة العلوم التّحبيوية والفقهية إلى رحابة علوم العصر. وقد أحدث إصلاح 1958 للتّعليم في تونس، تحوّلا فكريّا واجتماعيا وتاريخيا، في تصوّر المعرفة. ونوّكد أنّ هذا الإصلاح، قد خلق جيلا يمتلك سلطة معرفيّة ورأسمالا رمزيا. وقد أضحت هذه السلطة المعرفيّة، في أيدي الذين تلقّوا تعليما عصريا، بمنهج

متطورة، لا فرق بينهم وبين أيّ خرّيج آخر في العالم. ونرى أنّ المؤلّف لا يخفي ولاءه للسياسة التعليمية السائدة حينها، ولا يخفي انتصاره للتعليم العصريّ، دون أن يمنعه ذلك من انتقاد بعض الاختيارات الاعتبارية المسقطة، والنزعات التلفيقية، التي فرضها الصّراع الإيديولوجيّ الحادّ إبان الاستقلال، بين دعاة التقليد وأنصار التّجديد.

• الدّلالة الاجتماعيّة:

إنّ الاحتفاء بالجماعيّ التعليميّ هو - في نظرنا - احتفاء بالسياسة التعليمية الاجتماعية التي توخّتها دولة الاستقلال. ويتجسّد هذا البعد الاجتماعيّ، في توحيد التّعليم وتعميمه وتوسيع قاعدته الشعبيّة، وفي ربط الشّهادة العلميّة بحقّ الشّغل. فقد مكّن مبدأ تعميم التّعليم فئات واسعة، من أبناء المفقرين والمهمّشين، من ارتياد المدرسة، ومن مجالسة أبناء الأثرياء والوجهاء، ومن منافستهم والتّفوق عليهم، في أحيان كثيرة. فتحوّل المتحدّث في النصّ، بفضل تعميم التّعليم ومبدأ تكافؤ الفرص بين الجميع، وبفضل تميّزه، من طفل فقير، إلى رمز من رموز النّجاح والتميّز في بيئته، وإلى قدوة ومضرب مثل في تحقيق الذات ونحت الكيان. وقد مكّنه التّعليم الإشهاديّ، وربط الشّهادة العلميّة بحقّ الشّغل، من الولوج إلى الوظيفة الحكوميّة، ومن التحوّل من مجرّد شاب مغمور، إلى أستاذ جامعيّ معروف، وإلى شخصيّة اعتباريّة مشهورة، تحظى بالتّقدير والتّبجيل، فضلا عن الارتقاء الاجتماعيّ، من الطبقة الفقيرة المهمّشة، إلى الطبقة الوسطى المتّسمة بالوجاهة، والحيويّة والفاعليّة الاجتماعيّة.

• الدّلالة الاقتصاديّة:

لا شكّ في أنّ الاحتفاء بالجماعيّ التعليميّ هو - في اعتقادنا - احتفاء بنجاعة السياسة التعليمية، التي انتهجتها دولة الاستقلال، وبما حقّقه الأفراد من منافع اقتصاديّة، أفقر المؤلّف بحقيقتها وفضلها. ويتمحور محتوى هذه النّجاعة في مبدأ مجانيّة التّعليم، وفي الحوافز الماديّة التشجيعيّة، وفي ربط التّكوين العلميّ بالتّشغيل. أمّا مبدأ مجانيّة التّعليم فقد مكّن كلّ متعلّم فقير، من التعلّم والإقامة والإعاشة، بالبحّان أو بمقابل ماليّ رمزيّ أحيانا. وأمّا الحوافز الماديّة التشجيعيّة فتتمثل في الجوائز الرئاسيّة، والمنح الدّراسيّة، ومنح البعثات الدّراسيّة إلى الخارج ومنح التّفريغ للبحث الأكاديميّ. فقد شجّعت هذه الحوافز المتعلّمين الفقراء، على المشاركة وبذل الجهد، وحفّزتهم على حبّ التميّز والتّفوق. وقد أفاد كاتب سيرته من هذه الحوافز

فضلا كثيرا. وأما وصل التكوين العلميّ بالتّشغيل، فقد أقرّت السياسة التّعليميّة أن يكون التّعليم إسهاديا، فيتوجّ المتعلّم في نهاية كلّ مرحلة تعليميّة بشهادة علميّة، تمكّنه من الولوج إلى سوق الشّغل. وبفضل هذه الشّهادة العلميّة انتدبته وزارة التّربية والتّعليم، فوزارة التّعليم العاليّ. فتحوّل من شابّ فقير معدّم، إلى موظف مرموق من موظفي الدّولة. له راتب شهريّ يؤمّن له حياة كريمة، ويضمن له حقوقه الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

لقد تعاضدت إذن، هذه الدّلالات المتنوّعة، وتواشجت، لتعبّر مجتمعة عن ثراء هذه السّيرة الذاتيّة، وارتقائها إلى مرتبة كتاب الحياة، الذي تتكتّف فيه قضايا الفكر والأخلاق والأدب، ومشاكل السياسة والاقتصاد والمجتمع. فيفتح بذلك على جمهور واسع من القراء والباحثين المختصّين، في شتّى ضروب المعارف.

إجمالا، عرّفنا بهويّة حمّادي صمّود من خلال سيرته الذاتيّة، الموسومة بـ "طريقي إلى الحرّيّة". وتوقّفنا عند بنية كتاب حياته. واشتغلنا على الجماعيّ التّعليميّ في مؤلفه. فحدّدنا مفهومه، وأبرزنا مظاهره، وفصّلنا القول في أنواعه ومستوياته، وبينّا أشكال حضوره ودلالاته معوّلين في ذلك كلّ على استقرار النصّ، ومحاورته والإصغاء إليه، ومُستعنيين بمدوّنة نقدية غربيّة وعربيّة، مختصّة في منظومة أدب الذات عامّة وفي السّيرة الذاتيّة خاصّة، وانتهينا إلى الاستنتاجات الآتية:

أولا . يتلازم الفرديّ والجماعيّ في السّيرة الذاتيّة لحمّادي صمّود. وينصبّ تركيز المؤلّف على الجماعيّ المنتمي، إلى مجال التّعليم في مراحل المختلفة، تأكيداً لقيّمته، وتقديراً لجهده واعترافاً بأفضاله، وتخليداً لمآثره.

ثانيا . كتب حمّادي صمّود ذاته الفرديّة كما رآها في زمن الكتابة. وكتب في الآن ذاته مآثر الذين أُنّروا في حياته التّعليميّة والفكريّة، وكانوا له رفاق طريق، في سعيه الدّؤوب إلى الحرّيّة. فكانت سيرته الذاتيّة شهادة حيّة على مسيرة جيل يكافح، لتحقيق الذات وإثبات الوجود.

ثالثا . جمع المؤلّف في سيرته الذاتيّة بين مشروعه السّيرذاتيّ، الذي يروم التعرّف إلى الذات والتّعرّف بها ومشروعه الفكريّ الحداثيّ، الذي انخرط فيه مع أعلام بارزين من معلّميه

وأساتذته وزملائه وطلبته. فكان نصّه صدى لهذا التفاعل المثمر الخلاق، بين فعل الفرد وجهود الجماعة.

رابعا . لا يتفوق كاتب السيرة الذاتية العربية على ذاته، ولا ينغلق على نفسه، ولا ينشغل في نصّه بعرض تفاصيل حياته الخاصة. بل يفتح على بيئته، ويهتمّ بمجتمعه، ويستحضر من عايشه، ويحتفي بمن أثر في تكوينه، ومن منح حياته معناها. فتُسمي السيرة الذاتية بذلك، مجالا كتابيا حاضنا للفردّي والجماعيّ، وللكتاب ومجتمعه، وبذلك تكتسب خصوصيّتها وطابعها المميّز.

خامسا . تأتلف السيرة الذاتية لحماّدي صمّود "طريقي إلى الحرية" مع أغلب نصوص المدونة السير ذاتية العربية، في سمة الجمع بين فردية كاتبها والجماعيّ المؤثّر في هذه الفردية ممّا يجعل من التّعالق بين الفردّي والجماعيّ خاصيّة بنائية وأسلوبية، وسمة أجناسيّة تميّز السيرة الذاتية العربية، من السيرة الذاتية الغربية وغيرها، وتمنحها خصوصيّتها وطابعها المميّز.

سادسا . إنّ القراءة السليمة للسيرة الذاتية العربية، وفهمها ونقدّها والتّنبّط لها، تنبع رأسا من قراءتها قراءة داخلية عميقة، موصولة بجذورها التّراثية والأجناسيّة، للوقوف على طبيعة ما يميّزها عن غيرها، ولمعرفة كنهها وحقيقتها.

الهوامش والإحالات

- (1) - حمادي صمّود: طريقي إلى الحرية، دار محمد علي للنشر، تونس، 2017.
- (2) - Philippe Lejeune: L'autobiographie en France, Armand Colin, 1971, P14.
- (3) - حمادي صمّود : المصدر السابق، ص 10.
- (4) - ابن منظور: مادة جمع، لسان العرب المحيط، بيروت، دار الجيل - دار لسان العرب، ص 499.
- (5) - حمادي صمّود: المصدر السابق، ص 90.
- (6) - المصدر السابق، ص 88.
- (7) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (8) - المصدر نفسه، ص 92.
- (9) - المصدر نفسه، ص 90.
- (10) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- (11) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (12) – المصدر نفسه، ص 159.
- (13) – المصدر نفسه، ص 165.
- (14) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (15) – المصدر نفسه، ص 16.
- (16) – المصدر نفسه، ص 161.
- (17) – المصدر نفسه، ص 184.
- (18) – المصدر نفسه، ص 181.
- (19) – المصدر نفسه، ص 187.
- (20) – المصدر نفسه، ص 226.
- (21) – المصدر نفسه، ص 229.
- (22) – المصدر نفسه، ص 189.
- (23) – المصدر نفسه، ص 183.
- (24) – المصدر نفسه، ص 206.
- (25) – المصدر نفسه، ص 212.
- (26) – المصدر نفسه، ص 233.
- (27) – المصدر نفسه، ص 89.
- (28) – المصدر نفسه، ص 181.
- (29) – المصدر نفسه، ص 192.
- (30) – المصدر نفسه، ص 7.
- (31) – محمد الباردي: عندما تتكلم الذات: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005، ص 182.
- (32) – حمادي صمود: المصدر السابق، ص 66.
- (33) – أحمد أمين: حياتي، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة – تونس، 2006، ص 6.
- (34) – Hammadi Sammoud, *Prose Arabe*, (in) *Encyclopédia Universalis*, T2, 1985, PP 435-435
- (35) – عبد الفتاح كليطو: الحكاية والتأويل، الدار البيضاء، دار توبقال، 1988، ص 76.
- (36) – واسيني الأعرج: سيرة المنتهى عشتها... كما اشتتني، دبي، ط1، دار الصدى، 2014، ص 417